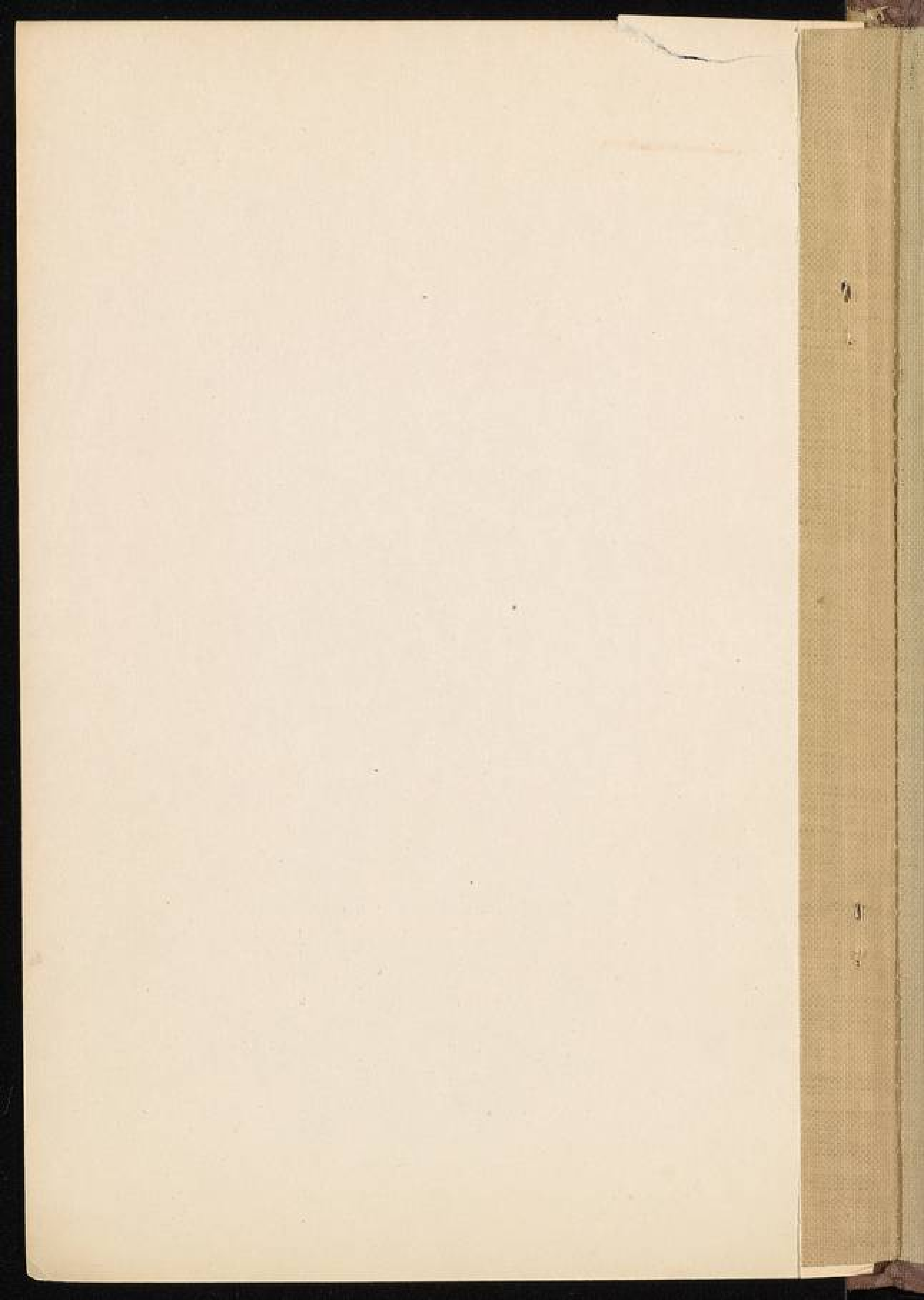
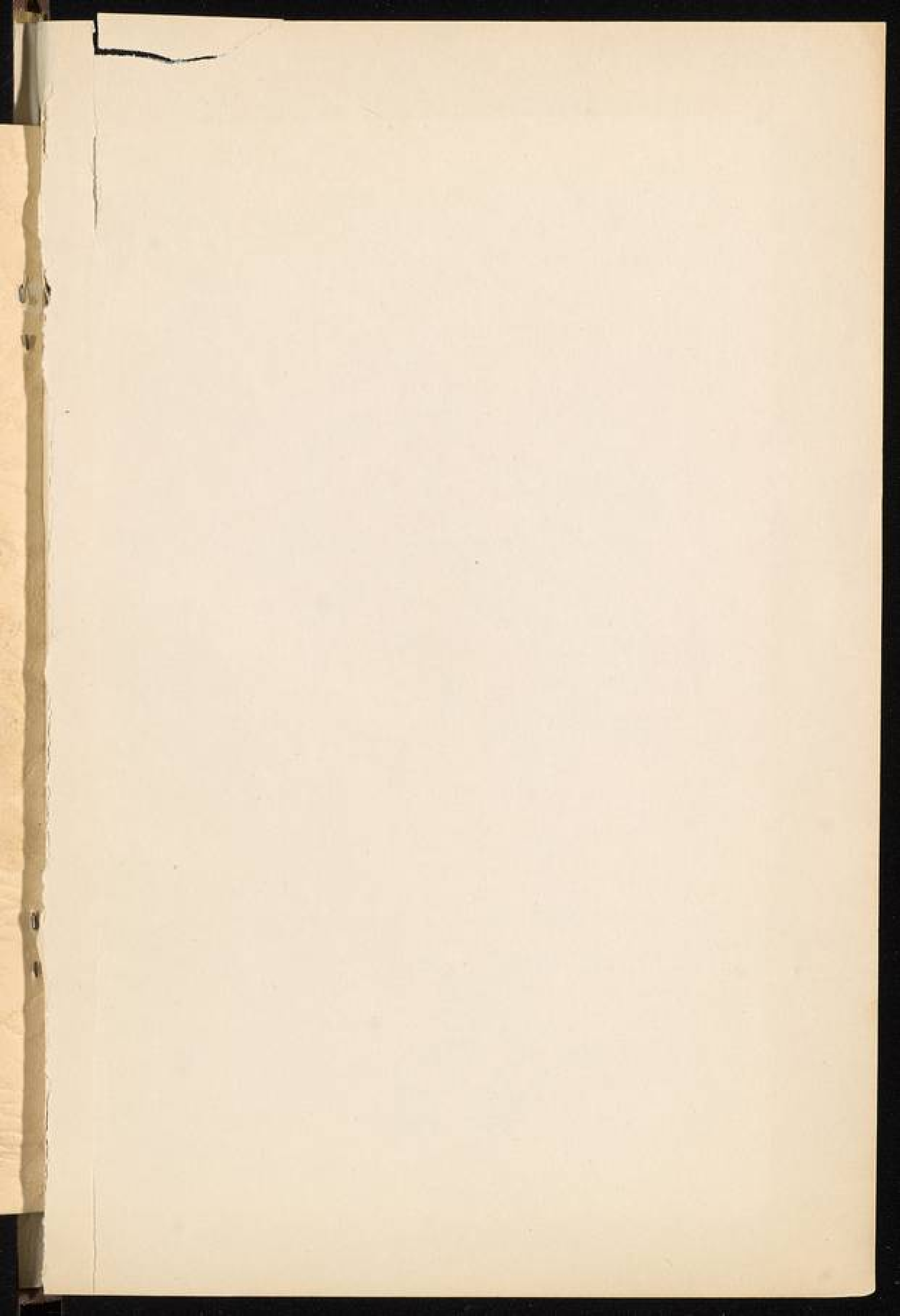






محمود تيمور

ضَبطُ الكِتَابةِ العَرَبيّةِ

القاهرة — ١٩٥١



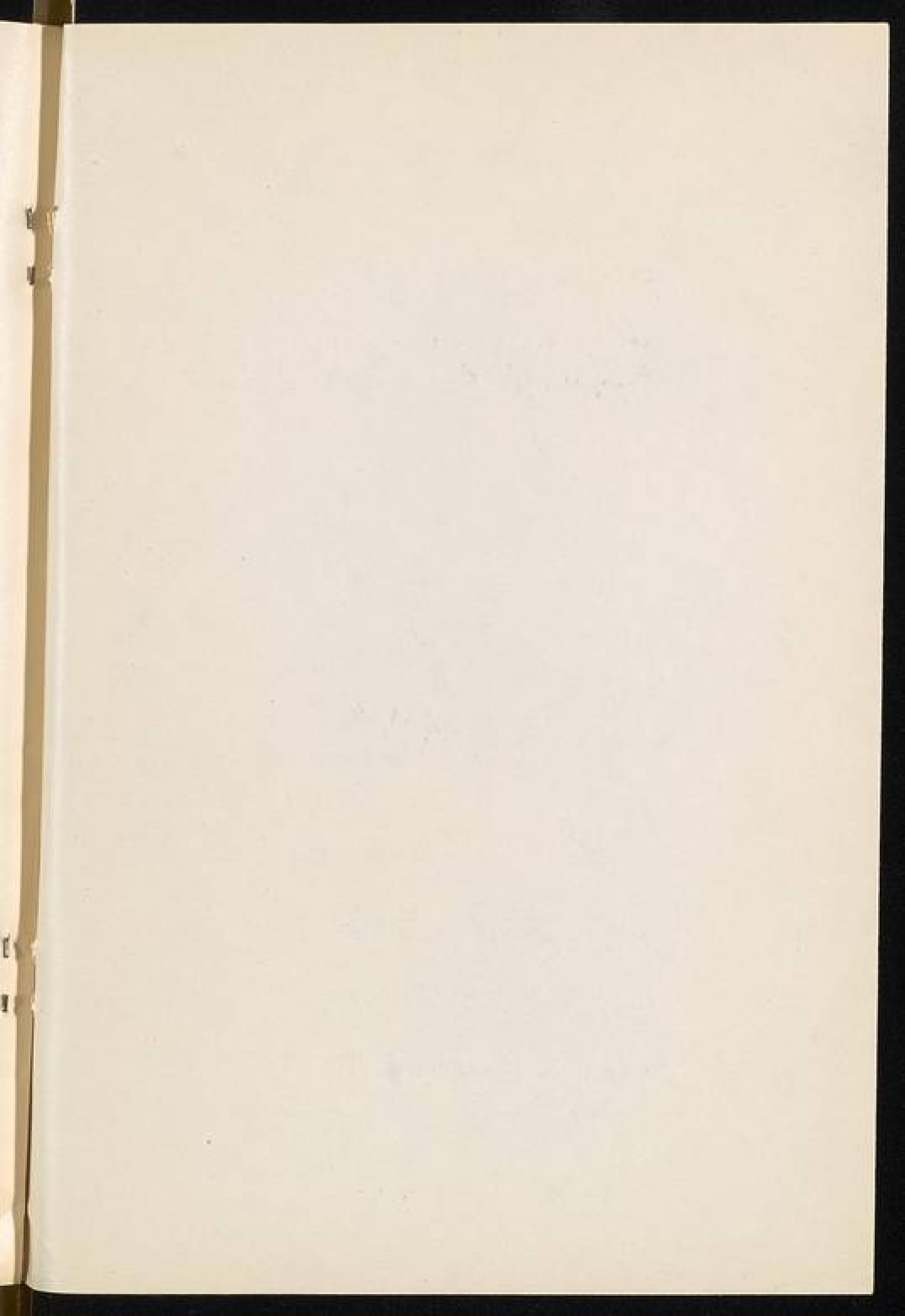
لمكتبة
Columbia University
New York
مع تحيات المؤلف
محمود تيمور
Mahmoud Teymour
1951

MAHMOUD TEYMOUR
6, Rue Emir Hussein
ZAMALEK
CAIRE . EGYPTE .

بَحث قَدَّمه « محمود تيمور » عضو

مجمع فؤاد الأول للغة العربية

إلى مؤتمر المجمع فى يناير ١٩٥١



ضَبْطُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بقلم

محمود تيمور

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

الطبعة الأولى - يناير سنة ١٩٥١

ما كاد يَبدأُ عهدُ التدوين العربيِّ فى عصر الدولة الأُموية ، حتى تَبَيَّنَ أن هذه الحروفَ العربية وحدَها ليست مُغنيةً فى ضبط الكلام . ولذلك أخذ الأُمويون فى ابتكار علامات للضبط تُوضَع على الحروف ، نفيا للخطإ ، ورفعا لِلَّبْس . هذا والأمةُ العربية فى جملتها يومئذٍ مستقيمةُ الألسن ، صافية السلائق ، فصيحة اللهجات .

ولقد بلغ من شعور الأقدمين بضرورة الضبط ، أنهم لم يكونوا يقتصرون على وضع العلامات المقرّرة ، بل لقد كانوا يَلْجَئُونَ إلى التعبير فى المواضع المهمّة للكلمات التى يَخْشَوْن عليها الِالتباس . فيكتبون مثلا

أن الكلمة بفتح الحرف الأوّل وسكون الثانى وضم الثالث وكسر الرابع . وما بعثهم على ذلك إلا خوفُ التَّصحيف والتحريف ، بل لعلهم خَشُوا أن تذهبَ علامات الضبط ، أو أن يستثقل النُّسَّاخُ نقلَها ، فأرادوا تسجيلَها بالتعبير . وليس أبلغَ من هذا دليلا على رهافة شعورهم بنقص الحروف العربية وحدَها فى الأداء ، وبقيام الحاجة إلى ضبط الكلمات ضبطًا لا لَبْسَ فيه .

فأما نحن فإننا فى مُسْتَهَلِّ نهضتنا الحديثة ، حين بدأنا نتخذ الطباعة وسيلة للتدوين ، اكتفينا بالحروف العربيةِ عاريةً عن علامات الضبط للكلام .

فهل مبعث ذلك أننا عَدَدْنا أنفسنا عربًا أقوى سلائقَ من العرب الخُلَّص فى العصر الأُمَوِىّ ، وأقدرَ منهم على قراءة ما يُكْتَب بالحروف العربية غيرَ مضبوطة ؟

كلا ، فإنه لا خلافَ على أنّ قراءة الكلام غيرِ المضبوط قراءةً صحيحة ، أمرٌ يتعذر على المثقّفين عامة . بل إن المختصّين فى اللغة ، الواقفين حياتهم على دراستها ، لايستطيعون ذلك إلا باطِّرَادِ اليقظة ، ومتابعة الملاحظة . وإن أحداً منهم إذا حَرَص على ألا يخطئ ، لا يتسنّى له ذلك إلا بمزيد من التأنى ، وإرهاف الذاكرة ، وإجهاد الأعصاب .

لم يكن مبعثُ اقتصارنا فى الطباعة على الحروف العربية دونَ ضبط أننا وجدنا فيها غُنْيَةً وكفايه ، وإنما كان مبعثُه أنّ أوضاع الكتابة العربية يَصْعُبُ معها إدخالُ علامات الضبط فى المطابع ، فلم يُتَحْ لهذه العلاماتِ أن تأخذَ مكانَها على الحروف المطبعية إلا فى أحوال قليلة ، وضرورات خاصة .

وكان فى مقدّمةِ هذه الضروراتِ والأحوالِ بعضُ

الكتب المدرسية الخاصّة بمواد اللغة العربية ، مثل كتب النحو والمطالعة ، فطُبِعَتْ مشكولة لاستعمالها فى المدارس . ولكن كان لذلك أثر سيِّئٌ ، فقد أشاع بين المثقفين شعورًا نفسيًّا نحو هذا الشكل ، شعورَ استعلاء عليه ، وأَنَفَةً منه . إذْ تَوَهَّمَ الكبار أن الضبط لايكون إلا للصغار ، وأنه للتلامذة دون الأساتذة ، وأن الكتب المدرسية هى وحدَها التى تظهر مشكولة ، وعَارٌ أن تُضْبَطَ الكتب التى توضع بين أيدى المثقفين الذين فارقوا مراحل التعليم . فمن قَدَّم لمثقف كتابا مضبوطا فقد أساء الظنّ به ، وعَزَا إليه تُهَمَةَ الجهل بأوضاع اللغة ، وقواعد النحو والصرف .

وجَلِيٌّ أن هذا الشعورَ النفسىَّ نحوَ الشكل شعور وهمىّ لاأساس له ، ولا حق فيه . فهو لون من ألوان الغرور يتواضع عليه الناس . وأولئك هم الناطقون

باللغات الأجنبية من فَرَنْسِية وإنجليزية وطليانية وغيرها ، لا يكتبون كلامهم إلا مضبوطا أتمّ ضبط ، ولغاتُهم على وجهٍ عامّ لغاتُ كلامٍ وكتابةٍ معا ، فهم بها أبصر ، وهى عليهم أيسر ، وسلائقُهم فيها أدعَى إلى الاِسْتغناء عن الضبط إن أرادوا أن يستغنوا عنه . ولكنهم يلتزمون الضبط فيما يكتبونه ، لا يعوّلون على علمهم باللغة ، ومَرَانَتِهم على القواعد ، وانسياقِ ألسنتهم إلى الصواب .

فأولُ ما يجب أن نؤمنَ به ، هو أن كتابتنا العربية غير المضبوطة ، كتابة ناقصة ، وأننا نعبر بها عن غرور نفسىّ ، وأن هذا الغرورَ يُخْفِى بين ثناياه عَجْزَ الغالب منا عن القراءة الصحيحة ، وَفْقًا لقواعد اللغة وأوضاعها . فنحن بهذه الكتابة الناقصة نُرْضِى غرورَنا ، وإن كنّا فى حقيقة أمرِنا نخطئ فيما نقرأ غيرَ مبالين .

ولا غَرْوَ فى أن يَعْجِزَ العامةُ عن القراءة الصحيحة ،
وأن يجدَ الخاصّةُ فيها صعوبة وحَرَجا ، فقد ذهبتْ عن
العرب سلائقُها الفصيحة منذ عهود وآماد ، وأصبحتْ
اللغة تؤخذ تلقينا ، وتُكْتسب تمرينا . إذ استقرّتْ لنا
لهجة عامية يجرى بها على ألسنتنا مألوفُ الكلام ، وهذه
اللهجةُ تُجَانِبُ لغةَ الكتابة الفصحى فى خصائصها
الواضحة ، أَعْنِي الإعرابَ وما إليه مما يقتضيه الاشتقاق
وتصريفُ الألفاظ والصِّيَغ . فأصبحْنا إذا أردنا أن
ننطِقَ بما نكتب، عانَيْنَا أن نُعْرِبه، وأن نُقَوِّم تصريفَه
معاناةً لاتخلو من تكلُّف ، ولا تَسْلَم من تَعَثُّر . ولذلك
نجد المدرّسَ فى مدرسته ، والمُحَاضِرَ على مِنَصَّته ،

والمتحدّث أمام المِذْياع ، يستنجدون مُضْطَرِّينَ بالوقف ، ويمتضغون بعضَ الصِّيَغ ، فِراراً من كُلْفَةِ الإعراب ، واتِّقَاءً للخطإ فى تصريف الألفاظ .

وقد أَدَّتْ هذه المصاعبُ التى يَضِيقُ بها الناطقون بالفُصْحَى ، أو الحُرَصاءُ على النطق بها ، إلى المناداة بترك الإعراب ، واللجوء إلى الوقف . على أن الأخذَ بهذه الدعوة لا يرفع جملةَ ما هنالك من مصاعب ، فمن وراء الإعراب ضبطُ بِنْيَةِ الكلمة ، فى أوائلها وأوساطها ، مما تقتضيه قواعد الصرف ، وسَماع اللغة . فإذا نُودِىَ بأن نَنْفُضَ عن اللغةِ إعرابَها وصرفَها وضوابطَ كلماتها جميعا ، فلا تسميةَ لذلك إلا أنه « انحلال لغوىّ » ، إذ هو يُفْقِدُ اللغةَ مقوماتٍ من جوهرها الأصيل .

حقًّا لقد شاعت فى البلاد العربية بِيئَةٌ ثقافية لها

لغتها الفصحى ، وحقا إن هذه البِيئَة لها منبعان فَيَّاضان من المقروء والمسموع . ولكنّ هذين المنبعين لم يُغْنِيَا أهلَ العربية شيئا فى صحة القراءة ، فإن المقروء عارٍ عن الضبط ، والمطالعون يَمْضُون فى قراءتهم على غير هُدًى . وأما المسموع فاللحنُ فيه شائع ، والخطأُ كثير ، وربما كان ضررُه أكبرَ من نفعه .

ولو كانت هذه البِيئَة الثقافية بِمَنْبَعَيْها الفيّاضين كافلةً للقارئ والسامع ضبطا صحيحا للألفاظ والصِّيَغ ، لأدّت لأهل العربية نفعا عميما ، ولكانت بِذْرة مُخْصِبَة لإثمار سلائقَ سليمة .

وأكاد أقول بأن هذه البِيئَة الثقافية بما فيها من مقروء ومسموع ، لوشاع فيها الضبط ، لأصبحتْ أقوى أثراً من تلك البِيئَة البدوية التى كان الخلفاء والأمراء يبعثون إليها بأبنائهم فى فجر الإسلام وضُحاه ، لاكتساب

العِصْمَةِ من اللحن فى الإعراب ، والسلامة من الخطإ فى تصريف الكلام .

فلنتمثلْ فى خاطرنا أن الضبطَ قد شاع بين أهل العربية فى سائر ما تقع عليه الأعين ، وما تلتَقِطُه الآذان : الطالبُ فى مدرسته من أول مرحلة فى حياته الدراسية إلى أن يتخرّجَ فى جامعته ، فى مختلِفِ موادّ دراسته ، والقارئُ عامةً فيما بين يديه من الصحف والمجلات والكتب والنَّشَرَات ، والأسرةُ كلها بِمَسْمَعٍ من المذياع — فلنتمثلْ فى خاطرنا أن هؤلاء جميعا لا يقرءون ما يُكتب لهم إلا مضبوطا أدقّ ضبط ، ولا يسمعون ما يُلْقَى عليهم إلا مُعْرَبًا أصح إعراب ؛ ألا يكونُ ذلك سبيلا إلى طَبْع الألسنة على صحة النطق ، وإكْسابِها مَلَكَةَ الإعراب ؟

لا ريبَ أننا أسعدُ حظًّا من العرب فى العهود

الغابرة ، فما كانت لديهم هذه الوسائلُ التى تَسَنَّتْ لنا الآن ، من مطبعةٍ تُخْرِج الكتب والصحف على اختلافها فى سهولة ويُسْر ، ومن مذياع ينقُلُ إلى الآذان ما تَلْفِظُه الأفواه فى دقة ووضوح . فأين من هذه الوسائل الناجعة ما كان للعرب الأقدمين من وسائلَ محدودة وعْرَة لَجَئُوا إليها لإشاعة الضبط ، والتعريف بالصواب ؟

ولكن وسائلنا على يُسْرِها ، وقوة أثرها ، لم نُحْسِن استخدامها ، فلم تُفِدْنا شيئا . وذلك لأننا لم نلتزم ضبطَ الكلام فيما نؤلف من كتب ، وما نُصْدِر من صحف ، وما نَلْفِظُ من قول فى المذياع .

فما عِلّةُ إمساكنا عن إشاعة الضبط ؟

وماذا يُحْجِم بالمطابع عن إدخال الشكل باعتباره عنصراً أصيلا فى الكلام ؟

لعل أكبر البواعث فى ذلك أن المطبعة العربية بدأتْ كما بدأت الكتابة العربية نفسُها ذاتَ حروف غيرِ مشكولة ، فأصبحتْ على هذا الوضع مألوفة جارية . فلما أُرِيدَت المطبعة على إدخال الشكل ضاقتْ به ذرعا ، ووجدتْه ضيقا عليها ثقيلا ، ولم تَرَ فيه إلا واغلا دخيلا . فقد أخذتْ الكلماتُ فى كتابتها أوضاعا من التركيب لا تحتمل وقوعَ هذه الشَّكَلات عليها .

وعلى الرَّغْم مما بذله أهل فَنِّ الطباعة من محاولات

فى معالجة الموضوع ، وما بلغوه من إخضاع حروف الكلمات لمواقع الشكل ، فإن الضبطَ فى الحرف المطبعى ما زال يُثْقِلُ الكلماتِ من كلّ جانب ، ويجعل البصر يَزِيغُ فى تَصَيُّد ما فوقَها وما تحتَها من حركات . وذلك إلى جانب أن تصحيحَ هذا الشكل فى تجارب الطبع عسير جدٌّ عسير ، وأن الخطأ فيه على فَرْط العناية به كثير جِدُّ كثير . ولذلك لا تَرْضَى بإجراء الشكل فى الكتب إلا بعضُ المطابع الخاصة . وإنها لَتُقِيمُ لهذا الإجراء أكبرَ الوزن ، وتَحْسُب له أكبرَ الحساب ، طَوْعًا لما يتطلَّب إدخالُ هذا الشكل من جَهْدٍ وعَنَتٍ فى صَفّ الكلام طورا ، وفى تصحيحه طورا .

فكيف السبيلُ إلى حلِّ هذه المشكلة ؟

لقد تناولها بالبحث كثير من ذوى الرأى ، وأعلنوا ما بدا لهم من مقترَحات وحلول . وإنى لأحْسَبُها ترجع إلى مَناحٍ ستة :

١ ــ المنحَى الأول : هو اتخاذ الحروف اللاتينية ، وقد آثرتُ أن أبدأ به تحيةً لأستاذِنا صاحب المعالى « عبد العزيز فهمى باشا » ، متّعه الله بالعافية . فقد نادَى بهذا الحلِّ فى بيان لا أعُدُّهُ إلا وثيقةً تاريخية من أنفس وثائقنا التى تعالجُ مشكلاتِنا الثقافية . وقد تكفَّل معاليه ، فيما أفاضَ فيه من بيان ، بتجليةِ ما يرِدُ على هذا الحلِّ من مختلف الِاعتراضات ، وعَقَّب عليها ما شاء أن يعقِّب

بالردّ والتفنيد ، فلم يَدَعْ فى هذا المنحَى زيادة لمستزيد ومُجْمَل ما رأى معاليه أنه لجأ إلى المناداة باتخاذ الحروف اللاتينية بعد أن بحث عن طريقة لتيسير الكتابة العربية مع استبقاء حروفها الحالية ، فلم يَظْفَرْ بها ، بل لقد تخيَّلَ أنه لن يظفَر بتحقيق هذه الأُمنية المحبَّبَة لنفسه ولأنْفُسِ أهله وأهل العربية . ولذلك لم يجد بدًّا من اختيار هذه الحروف اللاتينية التى شاعتْ فى أكثر لغات العالم . فهى وسيلةُ تقريبٍ بين الأمم ، وهى مع ذلك قد مُورِسَتْ فى الطباعة ، واكتسبت مَرَانةً فى الاستخدام ، وأثبتت قدرتها ويُسْرَها فى ضبط كتابة اللغات الأجنبية . وقد اتخذها معاليه أساسًا لطريقته ، ولكنه أدخل عليها من ضروب التعديل مايناسبُ ضبطَ الكلام العربىِّ على أدق وجه ، بحيث تجعلُ كل حرف فى الكلمة يدل بذاته على صورته الصوتية دلالةً صادقة

لا لَبْس فيها ولا ابهام .

ب — والمنحَى الثانى هو اختراع حروف جديدة تَحِلُّ محلّ حروفنا العربية ، ذاتِ علامات للضبط ملائمة لها . وقد تَكاثَرَ الواردون على هذا المنحَى من الحلول ، وتراحبَتْ مراميه للفنانين يبتكرون ما يُوحِى إليهم التصوّر والتفكير ، ويقْرُبُون أو يبْعُدون عن صُوَر الحروف العربية القائمة . وربما كان فى ألوان هذه الحروف المختَرَعة مايتوافَرُ له الجمالُ والِاختصارُ ، والسهولة واليُسْر ، وسائر المزايا التى لاتتوافر للحروف العربية أو اللاتينية جميعا . فما على المختَرِعين من سبيل ، وإن المجالَ أمامهم لطليق ، يُتِيحُ لهم حرّيّةَ الإنشاء ، ولا يقيم حيالَهم عقبةً مما هو قائم عتيد . ولكن الأخذَ بحروف مختَرَعة لاعهدَ بها لأحد ، أمر يتطلب من رحابة الصدر ، وشجاعة النفس ، ومن الاستعداد لقبول الجديد الغريب

أكثر مما يتطلب الأخذ بطريقة الحروف اللاتينية .
لأن التَّبنِّىَ للحروف المخترَعة التى لم تَثْبُتْ لها كفاية ،
ولم تُعرَفْ لها مَرَانة ، أشقُّ كُلْفَةً من اقتباس
حروف متعارَفة ، ثبتتْ كفايتها فى الأداء ، وكُفِلَتْ
مَرَانتُها فى العمل .

ج — وثالث المناحى الإبقاء على الحروف العربية
القائمة ، مع اختراع علامات للضبط يُلَاحَظ فى اختراعها
أن تكونَ ميسورةً على المطابع ، واضحة للقارئ ،
فَتَلْحَق هذه العلامات بتلك الحروف .

ولا ريبَ أن حروفنا العربية إذا لَحِقَتْ بها تلك
العلامات ، أفقدَتْها صورتَها المألوفة ، وأفاضتْ عليها
مَسْحَة من التنكير والغموض .

فهذا المنحَى يلتقى هو والمنحَى الأول والثانى معا
فى ضرورة الِاتفاق بادئَ بَدْءٍ على أن ننزلَ عن حروفنا

العربية فيما أَلِفْنَا من صورها ، وما عرفنا من علامات ضبطها .

د ـ وأما آلْمَنْحَى الرابع فهو الإبقاء على الحروف العربية وعلامات ضبطها ، على أن تُصَبَّ علامة الضبط مع الحرف فى بِنْيَة واحدة ، حتى لا تحيدَ عنه ، ولا تُفْلِتَ منه . فتبدو الحروف المطبعية معها ضبطُها متصلا بها ، ليس بينهما من تَفَاوُت .

وهذا المنحى تقوم فى وجهه عقبتان ، كِلْتَاهما كَأْداء ، أُولاهما فنية ، والأخرى اقتصادية . فإن صُندوقَ الحروف العربية فى أوضاعها القائمة كثير الصور ، يَعْيَا به الصَّفَّافون ، إذ يبلغ أكثر من ثلاثمِائةِ عَين . ولو أُضِيفَ إلى الصندوق صور جديدة من الحروف عليها علاماتُ الضبط على اختلافها ، لازداد جهد القائمين بصفِّ الكلمات أضعافا مضاعفة ، ولَاستنفد من أوقاتهم بضعةَ أمثاله

مايستنفدون الآن . فهذا المنحَى مَدْعاة لكثرة التكاليف ، مَضْيَعة للوقت ، مَجْلَبَة للعَنَت . ولذلك لا يقبَل تنفيذه الطابعون ، ولا يرضى به الناشرون . ولا سيما فى عصر طابَعُه السرعةُ والتيسير ، طابعه اكتسابُ الزمن ، واقتصاد الجهد ، والتهوين من النفقات .

ﻫ ـ وثَمَّةَ مَنحى خامس ، وهو وضع علامات الضبط بجانب الحروف ، منفصلةً عنها ، كالشأن فى الحروف اللاتينية ، لا كما توضع العلامات الآن فوق الحروف أو تحتها .

وهذا الحل يقتضى أن تتغيَّرَ أوضاع الكتابة العربية فى تركيب الكلمات ، لكى يكونَ بعد كل حرف مُنْفَسَح تَحِلُّ به علامةُ الضبط ، وأن يُفْصَل بين حروف الكلمات بهذه العلامات . وإذن تبدو صور الكلمات فيها تنكير ، وفيها نُبُوٌّ عن المألوف . يضاف إلى ذلك تفويتُ مزية

الإقتصاد فى حجم الكلمة ، فإن الفصلَ بين حروفها بعلامات ضبطها يضاعف حَجْمَهَا .

و — وخاتمةُ المناحى الستة هو الإقتصارُ على الحروف المنفصلة ، تسهيلا لوضع علامات الضبط عليها ، وتخفيفا على صندوق الحروف فى المطبعة العربية .

وفى هذا المنحَى مَغَامِزُ من جهات مختلفة . فهو أولا : يَزِيدُ فى الحَيِّزِ المقسومِ للكلمات ، وهذا تفويت لمزية الاقتصاد . وثانيا : لايَحْمِى من خَفاء الكلمة أولَ وَهْلَة ، لافتراقِ حروفها . وثالثا : يقتضى يقظة ورعاية للفصل بين كل كلمة وكلمة ، ولو وقع التهاونُ فى هذا الفصل ـ وهو واقع لا أمانَ منه ـ لاختلطتْ حروفُ الكلمات بعضُها ببعض ، ولتعذَّرَ على القارئ أن يميِّزَ كل كلمة فى جملتها ، ويُفَرِّقَ بينها وبين الكلمة التى تتلوها .

وجملةُ ما نادَى به المنادون من المُقْتَرَحات ، سواء ماكان منها يُشيد باتخاذ الحروف اللاتينية ، وما يَتَّخِذُ للكتابة حروفًا مخترعة ، وما يقتضى إدخالَ علامات أو أوضاع جديدة للحروف أو الحركات - جملةُ ذلك كلِّه لم يسلم من النقد والِاعتراض - وكان أكبر مايثيره النقاد والمعترضون من مآخِذَ أن هذه المقترحات المعروضة لتغيير الكتابة العربية تقطع الصلة بين القديم والجديد - فإذا أخذ الناس بإحدى هذه الطرائق ، وكتبوا بها ، عَجَزوا عن أن يقرءوا ماتركه لنا الأولون من تُرَاثٍ ثقافىّ عريض ، وَحِيلَ بين الجيل الجديد وبين الِانتفاع بذلك التراث الذى لا تَزْهَدُ فيه الأمة العربية بحال .

والحق أن الاعتراض بالقطع بين القديم والجديد دعوى لا تخلو من غلوٍّ فى القول ، وإسراف فى التصوّر . فإن أيةَ حروف بل أيةَ علامات وإشارات تُكتَب بها اللغة العربية لا تقطع بين قديم اللغة وجديدها ، ولا تفصِل بين ماضيها وحاضرها . بل لعل حروفا مقتبَسة أو مخترَعة تُكتب بها اللغة العربية تكون سبيلا إلى إحياء اللغة وتيسير اكتسابها ، مادامتْ هذه الحروف المقتبَسة أو المخترَعة أدقَّ ضبطا ، وأدنَى تناولا . فإنها بهذا الضبط وقُرب التناول تجعل المتعلمين أقدرَ على القراءة ملكة ، وأقومَ لسانا ، وأفصح بيانا .

وعلة إثارة النقاد والمعترضين لدعوى القطع بين القديم والجديد، أنهم يَخْشَوْنَ إذا اتُّخِذَتْ حروف مقتبَسة أو مخترَعة أن تَظَلَّ المؤلفات العربية التى توارثناها على توالى الأحقابِ مُسْتَغْلِقَةً مستَبْهِمَةَ لا يَمَسُّها قارئ .

وبذلك تَفْقِد الأجيال اللاحقة ما خَلَّفَتْه الأجيال السابقة من عُصارات القرائح والعقول .

ولكن الحق أن جيلاً جديدا إذا شَبَّ عربيًّا فى منطقِه ، بأية حروف وبأية علامات ، فتمكن من قراءة الكلام العربىّ مضبوطا أدقّ ضبط ، مُعْرَباً أصحّ إعراب ، واكتسب بذلك مَلَكَةَ الإفصاح – فإن هذا الجيلَ الجديد لا يُعْجِزُه بعدئذ أن يرجعَ إلى المؤلفات التى كُتِبَتْ بالحروف العربية القديمة ، وأن يقرأ ما فيها من بيان ، وينتفعَ بما حوت من علم وأدب ، وذلك إذا أنفق القليل من الساعات فى تعلُّم صُوَرِ الحروف العربية القديمة ، باذلاً فى هذه السبيل أيسرَ جهد .

ولا ريب أن كلّ امرئ فى مُكْنَتِه تَعَلُّمُ الصور الخطّية لثمانية وعشرين حرفا ، أيةً كانت ، فى ساعات معدودات ، وبجهد غير معسور .

ولو قُدِّرَ للأمة العربية أن تتواضع على اقتباس حروف أجنبية ، أو اختراع حروف جديدة ، لوجب مع ذلك أن نُلزِمَ الناشئة تَعَلُّمَ تلك الصور القديمة للحروف العربية . حتى إذا شَبُّوا وقد انقادتْ اللغةُ لألسنتهم ، ومَرَنُوا على ضَبْطِ نطقها ، وأَحْسَنوا تصريفَ كلماتها ، وأمِنوا من اللحن فى إعرابها ـ استطاعوا بمعرفتهم حروفَ العربية القديمة أن يطالعوا ما شاءوا من تُراثِ السَّلف ، ولا سيما المراجعُ الكبيرة ، وأمهاتُ الكتب ، فى فروع العلوم والفنون والآداب .

وستظل الحاجة إلى تعلم الحروف العربية القديمة قائمة ، حتى يتسنَّى لنا أن نعيدَ طبع هذه المراجع وأمهات الكتب بالحروف التى نتواضع عليها . وستَقِلُّ وطأة حاجتنا إلى هذه الحروف كلما مضينا أشواطا فى طبع تلك الكتب والمراجع . ولكنّ قدرا من هذه

الحاجةِ سيبقَى قائماً وإن أَعَدْنا طبعَ مئات من المؤلفات ومئات .

ومن هذا يتبيَّن أن تواضُعَنا على أية حروف لكتابة اللغة العربية ، لايقطع الصلة بين قديمنا وجديدنا فى ميدان التأليف . فالصلة باقية ، وربما بَقِيَتْ على نحوٍ أوثقَ مما هى الآن . وغايةُ ما هنالك أن الأمر يقتضينا معرفةَ حروف العربية القديمة ، فإذا عرفناها وَضَحَ لنا الطريق إلى مَنْهَل التُّراثِ العربىّ ، نَعُبّ منه ماوسعنا أن نَعُبّ ، لا يَصُدُّنا عنه شىء .

بَيْدَ أن هذا المنطقَ الذى نراه واضحا كل الوضوح ، لا يصرِفنا عن أن نسأل أنفسَنا :

أنريد الحقائق النظرية ، أم نريد الواقع العمليّ ؟

إن كنا نريد النظريات ، فمجال القول ذو سَعَة ، ومَيدان الاقتراح رحيب الجنبات ، تتنافس فيه الأذهان .

وأما إن أردنا الواقع الملموس ، فيجب أن نصارحَ أنفسَنا فى غير موارَبة ولا مِراء .

لغتُنا العربية فى جوهرها ومظهرها ليست مِلْكاً لوطنٍ وحدَه ، ولا هى مقصورة على دولة بعينها ، ولكنها شركة بين طائفة من الأوطان والدول . وجلىٌّ غايةَ الجلاء أن هذه الطائفة التى تضم بين جوانحها الأمةَ

العربية كلها يجرى فيها اتجاه واضح إلى الإبقاء على الكتابة العربية القديمة ، والتَّهَيُّبِ للعدول عنها ؛ وإن كان الرأى العامّ فى الأمة العربية كلها يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات الضبط ، ويُعَانِى من صعوبتها ما يعانيه .

ثَمَّةَ عامل نفسىّ يَسرى بين جوانح الأمة العربية ، مَنْ أغفَلَه لم يأمن الشطط . فإن جماهيرنا فى نهضتنا الحديثة التى تقوم على أساس الحضارة الغَرْبية الراهنة ، تتملكها نزعةُ المبالغة فى الحرص على مشخِّصاتها القومية ، وهذه الجماهير - فى شديد حرصها ذلك - تتوهم أن حروف كتابتنا العربية إحدى هذه المشخِّصات ، فإنْ نبذَتْها كان ذلك إمعانا فى التطرف ، وهدما للمأثور ، وتفريطا فى الجانب القومىّ العزيز .

وعلى الرَّغم من أننا طَلَّاعون فى نهضتنا إلى الأمام ، آخِذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرَنا تلك

ما برحت تحتَ وطأةٍ من تقديس التقاليد المتوارَثَة ، تَضَنُّ ما وسعها الضَنُّ بالنزول عن شيء من شئون حياتنا الاجتماعية ، وإن كان من الظواهر والقشور .

والحروف العربية القديمة ، وإن كانت لا تزيد على أنها أداةُ تصوير ، وليست هى من جوهر اللغة فى قليل ولا كثير ، فإنها قد اتخذتْ فى أوضاعها القائمة ، مَسْحَة من التقديس ، لشِدَّة الأُلْفَةِ بها ، وطول العهد معها ، وجلال القِدَمِ فيها . ولذلك لا يُحْسَبُ كل تغيير يَلحَق بها إلا استخفافا بشيء تحيط به هالةٌ من الجلالة والإكبار .

وإذن فهذا العامل النفسىّ المتأصِّل ، هو الذى يقف عقبةً فى سبيل ما ينادى به المفكِّرون وذَوو الرأى ، من اتخاذ حروف جديدة مقتَبَسَة أو مخترعة لكتابة العربية .

ولا خلافَ على أن العوامل النفسيَّة التى تستقرُّ

بين جوانح الأمم لا تَسْقُط جملةً بقوة منطق ، وروعة دفاع ، وحُجَّة إقناع . وإنها كذلك لا تسقُط بظهور مَضَرّة ، واستبانةِ نَفْع . فإن للعوامل النفسية أسبابَها وملابَساتِها ، فإذا زالتْ هذه الأسباب والملابَسات رُوَيدا زالت معها تلك العوامل رُويدا ، وليس كالزمان دواءً لها وعلاجا .

هيهات أن يُفْرَض اقتراح جديد للكتابة بقانون ، وهيهات أن يُلْزَم الناس به إلزاما بإقناع ، وكلُّ محاولة تُجَافِى المجرَى الطبيعىّ لتطوّر نفسية الأمم مكتوبٌ لها الإخفاق .

فمن حقِّ الأمة العربية علينا أن نسايرَ فى عهدها الحاضر رأيها العام ، وأن نَسُوسَ هذا الرأى فى حكمة وأناة ، حتى يحينَ وقت تتهيأ النفوسُ فيه لقبول الجديد .

فالإجراء الذى يمكن أن نَكْفُلَ له قبولَ الأمة

العربية فى جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حَلٌّ لا تتغير به الحروف القائمة ، ولا تَتَنَكَّر معه صورتُها المألوفة .

ومتى اتَّسَقَ لنا تحقيقُ رغبة الرأى العامّ فى استبقاء القديم ، فإن الناس جميعا يرحِّبون بما تتخذ من وسيلة لتذليل المصاعب التى تعترض حلَّ تلك المشكلةِ فى ميدان الطباعة .

وقد حَدَانا هـذا على أن نعرضَ طريقةً تقوم على أساس الكتابة العربية فى أوضاعها الراهنة ، بَيْدَ أننا ننفِي عنها ما كان عائقا عن إدخال علاماتِ الضبط فى الحروف المطبعية .

إن صندوق الحروف فى المطبعة العربية يحمل لكل حرف صورا متعدِّدة ، منها المفرد ، ومنها ما يقبل الاتِّصالَ بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وبحسب وقوع الحروف فى بِنْيَةِ الكلمة المركَّبِ بعضُها فوق بعض . ولذلك اتسع صندوقُ الحروف من ناحية ، فتعذَّرَ أن يحتملَ معه صندوقا آخر لعلامات الضبط . وتَرَكَّبَتْ الكلمة من ناحية أخرى ، فأصبح وضعُ

علاماتِ الضبط عليها غيرَ دقيق . وهذا كله هو سرُّ استثقال علامات الضبط ، وإخفاقِها فى أداء مهمّتها ، وهو العقبةُ فى سبيل استعمالها فى الكتبِ التى تُخْرِجها المطابع .

وإنى أرى أن نقتصرَ من صُوَرِ الحروف على صورة واحدة ، وبذلك يكونُ لصندوق الحروف المطبعية عيون لاتتجاوز الثلاثين عَيْنا ، فنخلُص من تلك العيون التى تزِيد على ثلاثِمائةٍ ، وأن نتخذَ علاماتِ الضبط المتعارفةَ التى يَجْرِى بها الِاستعمال . وسيرحُبُ بها الصندوق الذى تَخَفَّفَ مما كان يَغَصُّ به من الصُّوَر المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحتْ جوانبه لتقبُّل هذه الحركات فى غير مشقّة ولا عُسْر . وطَوْعاً لهذا يتوافر للطباعة غُنْم من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة غُنْم من تعميم الضبط بلا عناء .

وأقترح أن تكونَ الصورةُ التى نقتصر عليها من صور الحروف ، هى الصورة التى تقبل الاتِّصالَ من بَدْء الكلمات ، وهى التى يسميها أهلُ فنِّ الطباعة : حروفاً « من الأوّل » ، على أن تُؤْثَرَ الكافُ المبسوطةُ ، وتظلَّ حروف الألف والدال والذال والراء والزاى والواو والتاء المربوطة واللام ألف باقيةً على صورتها فى حالة إفرادها .

وأكبر ظنِّى أننا لو أخَذْنا بهذه الطريقة لحَلَلْنا مشكلةَ الكتابة العربية الآنَ على نحوٍ لا يثير اعتراضا ، ولا يتطلب تهيئةَ الأذهان للرِّضَا بتغيير طارِئ ، وإقناعِ الرأى العامِّ بقبولِ شيءٍ جديد .

وعندى أن هذه الطريقة تتحقَّقُ بها المزايا الآتية :

أوّلا :

أنها تَنْفِى شُبْهَةَ القَطْع بين القديم والجديد ،

فالحروف هى الحروف المعروفة ، وعلامات الضبط هى القديمة المألوفة .

ثانيا :

أن الحروف ستكون واضحة لا خَفاء بها . فهى غير مركَّبة ، بل مبسوطة ، يُعْرِبُ فيها كلُّ حرف عن صورته فى تميُّز واستقلال .

ثالثا :

أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها ، تأخذها الأنظارُ باللَّمْح ، فلا تترجَّح الْعَلَاماتُ بين الحروف المركَّبة فى الكلمة الواحدة . إذ أن كلَّ حرف رَحْبُ الصدر لما يقع فوقَه أو تحتَه من علامة الشكل . وبذلك تأمن العلاماتُ من التزحزح ، وتَسْلَمَ من التعرُّض للخطإ والِاضطراب .

رابعا :

أن اتخاذ صورة واحدة للحروف فى جميع مواقعها من الكلمات ، أوّلا ووسطا وآخرا ، سيجعل تعليمها أيسرَ مَئُونة ، لأننا لا نُرَوِّع المتعلمين بالحرف الواحد متعدِّدَ الصور ، مختلفًا فى حالة إفراده عنه فى أحوال تركيبه . ولذلك أثره فى تعليم القراءة للناشئين ، ومكافحة الأمّيّة على وجه عامّ بين الأهلين .

خامسا :

أن المصاعب التى تتجشّمها المطبعةُ الآنَ لا يبقَى لها مَحَلّ . فإن صُندوق الحروف سيتحرّر من أكبر ما يُثْقِلُه . فإذا أَضَفْنا إليه علامات الشكل لم يَضِقْ بها جميعا . وسيُصْبِح ذلك الصندوق الذى يحوى الحروفَ وعلاماتِ ضبطها جميعا لا يزيد على خمسين عينا ، على حين أن صندوق الحروف غيرِ المشكولة فى حالتها الراهنة

المتعدِّدة الصور يُرْبى على ثلاثمِائَة .

سادسا :

أن وقت العمال الذى كانوا ينْفِقُونَه فى اجتلاب صور الحروف على اختلافها سيتوافر لهم ، فينفقون القليلَ منه فى اجتلاب الشكل . وسيصبح صفُّهم لكلمة مشكولة يتطلبُ من الوقت والجهد أقلَّ مما كان يتطلب صَفُّ كلمةٍ لاشكلَ فيها .

سابعا :

أن اجتنابَ التركيب فى الحروف سيجعل الكلمات مبسوطةً ذاتَ أفق أقلَّ انخفاضا من الأفق الذى تقتضيه الكلماتُ المركَّبة الحروف ، فتَزْدَاد السطور فى الصحيفة ازديادا يعوِّضها مما يستلزمه انبساطُ الحروف من اتساع الحيِّز .

ولقد رغبتُ إلى المطبعة فى أن تَسْتَنّ هذه الطريقةَ فى صَفّ جملةٍ من الكلام ، فلم تَعْىَ بذلك ، وأثبتت التجربةُ أن الطريقةَ لا تعترضُها فى العمل عقبات ، مع أن المطبعةَ اعتمدتْ فى إنجاز ذلك على صُندوق الحروف الذى يجرى به الِاستعمالُ الآنَ .

ولو أن هذه الطريقةَ لَقِيَتْ حظا من القبول ، ووُضِعَتْ موضعَ التنفيذ ، لتوقّعْنا أن يزوِّدَها أهل الفنّ فى مسابك الحروف بما يُوحِى به وَضْعُها الجديد ، وأن يزيدُوها تجميلا ، ويُضيفُوا إليها من ألوان التعديل والتنسيق ما يجعلُها أدقّ أداءً ، وآنقَ منظَرا ، وأدنَى إلى الرِّضَا والِاستحسان .

بَقِيَ أن نَعْرِضَ لشىء لا نجد سبيلا إلى أن نَضْرِبَ عنه صَفْحا . ذلك هو أن لمشكلةِ ضبط الكتابة جانباً غيرَ الجانب المطبعىّ الفنىّ الذى تَحُلُّه هذه الطريقة .

إن المُطَالَبَةَ بضبط الكتابة أمر تعترضُه مصاعبُ يتبرَّمُ بها الكاتبون . فإننا إذا رَغِبْنَا إلى كلِّ كاتب أن يقدِّم ما يكتبه إلى المطبعة مشكولاً على وجه الدِّقَّة ، استشعرَ من ذلك عَنَتاً ، ولاقَى فى سبيله رَهَقا . أليس هو مُطَالَباً بأن يَتَحَرَّى الصوابَ فى الضبط ؟ وهل يَتَسَنَّى لكلِّ كاتب أن يُحْسِنَ ضَبْطَ ما يكتب ؟ أوَ ليس ذلك يقتضى بَصَرا باللغة ، وإتقاناً لقواعد النحو والصرف ، حتى لا يكون الضبطُ الجديدُ سبيلاً إلى إشاعة الخطإ

مِنْ حيثُ نبتغى إشاعةَ الصواب ؟

ولكن هذا الذى نتوقّعه ونخشاه من شيوع الخطإ إذا أُريد الكاتبون على ضبط مايكتبون ، دليلٌ أسطعُ دليل على أننا تُعوِزُنا المَرَانَةُ على سلامة النطق وصحة الإعراب ، دليلٌ أسطَعُ دليل على حاجتنا القُصْوَى إلى تعميمِ الضَّبْطِ فى الكتابة .

على أن لكلِّ تغيير طارئ مصاعبَه الأولى ، ولكل إصلاح عثراتِه فى فواتحِ الطريق ، حتى يستقرَّ الأمر ، وتَستتِبَّ الحال . فلا رَيبَ فى أننا حين نأخذُ أنفسَنا بضبط ما نكتب سَيَشِيع بيننا خطأ كثير ؛ إلا أن هذا الخطأ سيقِلّ ويضمحلّ على تَوَالِى الزمن ، وَفْقاً لتَتَبُّعِ النُّقَّاد ، والرغبةِ فى تَوَخِّى الصواب . ولا ريبَ كذلك فى أن الأمر سيقتضى تخصيصَ طائفةٍ من البُصَرَاء باللغة للإشراف على كل ما تُخْرِجُه المطابع من كتب وصُحُف

ومجلات ، حتى تبرأ من اللحن والخطإ فى ضبط الكلام .

ومَرُّ الأيام كفيلٌ بإنشاء جيل جديد من الكتّاب والمؤلّفين يَغْنَوْنَ بقدر كبير أو صغير عن معونة المراجِعين والمصححين . وهذا الجيل ناشئ حتما متى شَبَّ على قراءة ما يقرأ مضبوطا أتمّ ضبط ، إذ يتعوّد سلامة النطق ، وتستقرُّ فى أذهانه صِيَغُ الكلمات والجمل مضبوطةً مُعْرَبة ، فيكتبُها كما أَلِفَتْها عينُه ، ويتلفَّظُ بها كما سَمِعَتْها أذنه . وبذلك يقتطف ثمرةَ النحو والصرف ، دون تخصُّصٍ فى تعلم النحو والصرف . شأنُه فى ذلك شأنُ الشاعر المطبوع حين يَنظِم ما يَنْظِم صحيحًا لا خَلَلَ فيه ، طَوْعًا لِمَا أَدْمَنَ من قراءة الشعر ، ولو لم يعرفْ من علم العَرُوض شيئا .

وعلى الرَّغْم من أن هذه الطريقةَ التى نراها حَلًّا للمشكلة الفنيـة المطبعِيَّةِ فى ضبط الكتـابة ، طريقةٌ ميسورة ، لاتقف فى سبيلِ تنفيذها عَقَبة ، فإننا لا نستطيع أن نُلْزِمَ بها الأمةَ العربية إلزاما ، ولا أن نفرِضَها على المطابع فرضا . ولـكن يجب أن ندعُوَ إليها دعوة عملية طبيعيّة تُزَكِّيها عند النـاس ، ونَحْدُوهم على اتخـاذها بالطَّوْعِ والِاختيار .

ولعل أهـدَى سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزمَ وِزارةُ المعـارف طَبْـعَ كتبها التعليميةِ فى مختـلِف الموادّ والمراحل ، وافيةَ الشكل ، صحيحةَ الضبط ، بهذه الطريقة الهَيِّنة الميسورة . ولن تجدَ الوزارة فى سبيل

ذلك ماكانت تجدُ من مصاعبَ فنية ، وعقبات مطبعية ، حالتْ بينها وبين تعميم الشكل فى كتب التعليم .

فإذا ألزمتْ وزارةُ المعارف نفسَها بهذا الإجراء ، كان ذلك حافزا على اتخاذ تلك الطريقةِ فى مُحِيط الجمهور .

وسينشأ تَبَعًا لذلك عامل نفسىّ لتأييد تعميم الضبط فى سائر المطبوعات ، هو عامل التأسِّى والاقتداء ، عامل التنافس فى إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة ، تَشَبُّهًا بما تُخرج وزارة المعارف من كتبها فى شتّى موادّ العلوم والفنون والآداب .

ويومئذ يتحقّق غرض منشود ، سَعَى إليه « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » ، وابتغَى إليه الوسيلةَ ما وَسِعَهُ أن يبتغِيَ ، ذلك هو تعميمُ الضبط فى الكتابة العربية على نحوٍ ميسور ؟

صَحِيفَةُ ٱلْمِثَالِ

أُرِيدُ أَنْ نَقْتَصِرَ مِنْ صُوَرِ ٱلْحُرُوفِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِذٰلِكَ يَكُونُ لِصُنْدُوقِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْمَطْبَعِيَّةِ عُيُونٌ لَا تَتَجَاوَزُ الثَّلَاثِينَ عَدًّا . فَنَتَخَلَّصُ مِنْ تِلْكَ ٱلْعُيُونِ الَّتِي تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ . وَأَنْ نَتَّخِذَ عَلَامَاتِ ٱلضَّبْطِ ٱلْمُتَعَارَفَةَ ٱلْجَارِيَ بِهَا الِاسْتِعْمَالُ ، وَسَيَرْحُبُ بِهَا صُنْدُوقُ ٱلْحُرُوفِ الَّذِي تَخَفَّفَ مِمَّا كَانَ يَغَصُّ بِهِ مِنَ الصُّوَرِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ لِلْحُرُوفِ ٱلْأَصْلِيَّةِ وَٱنْفَسَحَتْ جَوَانِبُهُ لِتَقَبُّلِ هٰذِهِ ٱلْحَرَكَاتِ فِي غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا عُسْرٍ . وَطَوْعًا لِهٰذَا يَتَوَافَرُ لِلطِّبَاعَةِ غُنْمٌ مِنَ ٱلسُّهُولَةِ وَالتَّيْسِيرِ ،

كَمَا يَتَوَافَرُ لِلْكِتَابَةِ غُنْمٌ مِنْ تَعْمِيمِ الضَّبْطِ بِلَا عَنَاءٍ .

وَأَقْتَرِحُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ الَّتِي نَقْتَصِرُ عَلَيْهَا مِنْ صُوَرِ الْحُرُوفِ هِيَ الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبَلُ الِاتِّصَالَ مِنْ بَدْءِ الْكَلِمَاتِ ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَهْلُ فَنِّ الطِّبَاعَةِ : حُرُوفًا «مِنَ الْأَوَّلِ». عَلَى أَنْ تُؤْثَرَ الْكَافُ الْمَبْسُوطَةُ وَأَنْ تَظَلَّ حُرُوفُ الْأَلِفِ وَالدَّالِ وَالذَّالِ وَالرَّاءِ وَالزَّايِ وَالْوَاوِ وَالتَّاءِ الْمَرْبُوطَةِ وَاللَّامِ أَلِفٍ بَاقِيَةً عَلَى صُورَتِهَا فِي حَالَةِ إِفْرَادِهَا .

وَهَا هُوَ ذَا نَمُوذَجُهَا فِي صُنْدُوقِ الْحُرُوفِ الْمَطْبَعِيَّةِ :

أ بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ صـ ضـ

طـ ظـ عـ غـ فـ قـ كـ لـ مـ نـ هـ ة و لا يـ

أحدث مؤلفات

محمود تيمور

مجموعات قصصية :

كل عام وأنتم بخير
إحسان لله
خلف اللثام
شفاه غليظة
بنت الشيطان
مكتوب على الجبين
فرعون الصغير
قال الراوى
شباب وغانيات

قصص تمثيلية :

ابن جلا
فداء
اليوم خمر
حواء الخالدة
المخبأ رقم ١٣
سهاد
المنقذة
عوالى
قنابل
أبو شوشة والموكب

قصص مطولة :

كليوباترة فى خان الخليلى
سلوى فى مهب الريح
نداء المجهول

صور وخواطر :

شفاء الروح
ملامح وغضون
أبو الهول يطير
عطر ودخان
فن القصص



مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع نوبار باشا رقم ١٢



